لان الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما
الاسلام او القتل فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل
يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما نزلت هذه الاية قال اصحاب الزمانة فالاعذار كيف حالنا يا رسول
الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في
جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه التحرز
وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال
الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار ظاهرة دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه
ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشتغال الذي يعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك
وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرب ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به
في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع
الله ورسوله يعني في امر الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على
الكفر والنفاق يعذبه عذابا اليما يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية على ان
يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا
فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان
فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا
فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك وفي رواية عن
سعيد بن المسيب قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة
فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت
الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى م عن
ابي الزبير انه سمع جابرا يسال كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي
سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه
على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فقال بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول
قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر
اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كنا اصحاب الشجرة الفا
وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الاية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره
محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى
قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا
قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد
عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج
عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه

واجاره

واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته
قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى
نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم
وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع
بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان
ابن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر اليه لاصقا
بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من امر عثمان باطل م عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في
قلوبهم يعني من الصدق والاخلاص والوفا كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق فانزل السكينة يعني
الطمانينة عليهم يعني على المؤمنين المخلصين ان يثبتوا ويبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الاية لطيفة
وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل
وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الاية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم
فان قلت الفا في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه تعالى علم ما في قلوبهم من
الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم **قلت** قوله فعلم ما في
قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من
الصدق فاشارة الى ان الرضى لم يكن عند المبايعة الا عند ما علم الله بصدقهم والفا في قوله فانزل السكينة
للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل السكينة عليهم وقوله تعالى واثابهم فتحا قريبا يعني
خيبر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني من اموال اهل خيبر فانها ذات نخل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم
بالهلاك على ايديكم قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم
الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم
الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كمثالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعد الله به من الغنائم كالقليل
من الكثير وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل بني اسد
وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل
ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم ولتكون اية للمؤمنين هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم
المغانم لتنتفعوا بها ولتكون اية للمؤمنين يعني وليحصل من بعدكم اية تدلهم على ان ما وهبكم الله يحصل مثله لهم
او ولتكون اية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم
ويعلموا ان الله هو المتولي لحياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ويهديكم صراطا مستقيما يعني ويهديكم الى دين
الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر **ذكر غزوة خيبر** وذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)